تموز 2026 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 14
July 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 14
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

فاعليَّة التَّضاد في شعرِ محمود بن حِسنِ الورَّاقِ (تـ 225هـ)دراسة تحليلية

م .د. محمود محمد علاوي جواد الراوي
قسم اللغة العربية- كلية علوم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات – جامعة الانبار
Mahmoud.m.allawi@uoanbar.edu.iq

مُلخَّص

إنّ دراسة هذا البحث الموسوم بـ(**فاعليَّة التَّضاد في شعرِ محمود بن حِسنِ الورَّاقِ ,دراسة تحليلية**) سعى هذا البحث إلى رصد الثنائيات الضّدية في ديوان الشاعر فالتضاد آلية شعرية هامة تتجلى من خلالها رؤية الشاعر الإبداعية حين تكشف للمتلقي أفاق جديدة في النص يتحقق من خلال الاختلاف وتباين الرؤى بين القراء في النص الواحد ,وتحفل الثنائيات الضّدية في شعر محمود بن حسن الوراق التي جسدت أبعاده الشعرية من الظواهر الفكرية التي يمكن معاينتها في التجربة الشعرية ,ونلحظ أن الشاعر كان بارع في جمع المتناقضات التي ترسخ الحياة ,وقد ولع الشاعر في قضية التضاد بحيث نجد له في البيت أو البيتين ثنائية أو أكثر من ثنائية ,بينما الباحث ذكر التضاد في الشاهد وبيان ماهيته بغض النظر عن نوع التضاد وقد شكلت الثنائية الضّدية في قصائدهِ ومقطوعاتهِ تراكيب وسياقات نّصية أسبغ عليها دلالات عميقة تجعل الصورة الشعرية في قمة الجمال يقدمها للمتلقي معبرة عن عمق الايحاء داخل البيت الشعري في المرتكز الدلالي ,وكان الشعراء يتخذون من الثنائيات الضّدية وسيلة الأعجاب والجمال في قصائدهِ ولا سيما من النواحي الفكرية والمعنوية والأخلاقية والمادية .

كلمات مفتاحية . فاعليَّة التَّضاد ، شعرِ ، محمود بن حِسنِ الورَّاقِ

The Effectiveness of Antithesis in the Poetry of Mahmud ibn Hasan al-Warraq (d. 225 AH): An Analytical Study

Dr. Mahmoud Mohammed Allawi Jawad Al-Rawi
Department of Arabic Language - College of Computer Science and Information Technology - University of Anbar
Mahmoud.m.allawi@uoanbar.edu.iq

Abstract

This research, entitled "The Effectiveness of Antithesis in the Poetry of Mahmoud Ibn Hassan Al-Warraq: An Analytical Study," aims to identify the antithetical pairs in the poet's collected works. Antithesis is an important poetic mechanism through which the poet's creative vision is revealed, uncovering new horizons in the text for the reader. This is achieved through the difference and divergence of perspectives among readers of the same text. The antithetical pairs in Mahmoud Ibn Hassan Al-Warraq's poetry, which embody its poetic dimensions, are replete with intellectual phenomena that can be observed in the poetic experience. We note that the poet was adept at combining contradictions that solidify life. The poet was fond of the issue of antithesis, such that we find in one or two lines, or more than one, antithesis. The researcher mentions antithesis in the example and explains its nature, regardless of the type of antithesis, and it constitutes The use of antithetical duality in his poems and fragments, as textual structures and contexts, imbues them with profound meanings, elevating the poetic image to its zenith of beauty. He presents it to the reader, expressing the depth of suggestion within the poetic verse at its semantic

core. Poets often employed antithetical dualities as a means of expressing admiration and beauty in their poems, particularly in intellectual, moral, ethical, and material aspects.

Keywords: The effectiveness of antithesis, poetry, Mahmoud bin Hassan al-Warraq

التمهيد

مفهوم التضاد

إنّ اللغة العربية تعتبر من أوسع اللغات السامية ثروة في أصول الكلمات ومن تلك الخصائص التي وقفت عليها ظاهرة التضاد ,وهو من فنون البديع ,وإن ظاهرة التضاد في اللغة العربية لها أهمية كبيرة في ايضاح المعاني ,وهذا ما جعل الباحثين يغوصوا في أعماق اللغة بحثاً عن المفردات المتضادة ودلالتها على معانيها [1].

التضاد لغةً :

فقد وردت لفظة التضاد في قاموس المحيط في قوله :" الضِّدُّ بالكسر والضَّديد :المثلُ والمخالفُ ضِدّ ويكون جمعاً ومنه (ويكونون عليهم ضِدًّا) مريم ,الآية :82. وضِدَّه في الخصومة :غلبَه وضد عنه :صَرفه ومنعه برفقٍ.....خالفَه وهما متضادان " (2). ومن خلال هذا التعريف يستنتج أن للتضاد في اللغة العربية عدّة معانٍ منها :المثلُ والمخالف, كأنَّ نقول أن فلان خالف فلان في الرأي ,وكذلك عرف أبن منظور التضاد:" الضد كل شيء ضاد ليغلبه ,والسواد ضد البياض ,والموت ضد الحياة ,والليل ضد النهار ,فجاء هذا ذهب هذا " [3].

التضاد اصطلاحاً :

ورد مصطلح الثنائيات الضدية في المنظور النقدي البلاغي القديم بوصفه مفهوماً يرتبط بمفهوم التضاد ,فالثنائيات الضدية آليه شعرية وجدت في الشعر القديم ,وقد رأى بعض النقاد أن ظاهرة التضاد قد شكلت عائقاً في الإبداع الشعري لدي الشاعر ,حيث أصبح تفكير الشاعر مقيداً بتلك الثنائيات ,حتى يجعل من البيت الشعري كأنَّه قسمين متساويين ,أي أنه يبنى جملة مركبة تربط بين جزئيها علاقة تماثل التضاد [4] تعود جذور هذا المصطلح إلى تقسيم سيبويه (تـ180هـ) في كتابة للألفاظ والمعاني بقوله:" أعلم من الكلام اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ,واختلاف اللفظين والمعنى واحد ,واتفاق للفظين واختلاف المعنيين ,هو نحو :جلس وذهب ,واختلاف المعنيين والمعنى واحد نحو :ذهب وانطلق ,اتفاق اللفظين والمعنى مختلف ,قولك: وجدتُ عليه من الموجدة ,ووجدت إذا أردت وجدان الضالة " [5].

وأخذ الدارسون من بعده تقسيم التضاد وعرفه ,أبو الطيب اللغوي(تـ 351هـ) الأضداد: " والأضداد جمع ضد ,وضد كل شيء ما نافاه ,نحو البياض والسواد , والسخاء والبخل ,والشجاعة والجبن ,وليس كل ما خالف لشيء ضداً له ,إلا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ,وإنما ضد القوة الضعف ,وضد

---

[1]) ينظر: ظاهرة التضاد في معجم متن اللغة دراسة في التعبير الدلالي ,هيام إسماعيل عليوي ,مجلة أبحاث ميسان ,المجلد السادس عشر ,العدد 32, 2020م : 282.

[2]) القاموس المحيط , الفيروز آباد ,مادة (ضد)

[3]) لسان العرب ,ابن منظور :مادة (ضد).

[4]) ينظر: تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية ,ثامر العذاري ,رند للطباعة والنشر والتوزيع ,دمشق ,ط1 , 2011م :42.,وينظر: الثنائيات الضدية في شعر بدر شاكر السياب ,د.محمد سعدون ,مجلة علوم اللغة العربية وآدابها , مجلد 13, العدد:10: 2.

[5]) الكتاب , عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر , تح: عبد السلام هارون ,مكتبة الخانجي , القاهرة ,ط3,1988م :1/ 24.

العلم الجهل ,فالاختلاف أعمّ من التضاد ,إذ كان متضادين مختلفين ,وليس كل مختلفين ضدين"[6] . وإن هذه الفاعلية الضّدية فقد استعملها الشاعر في شعرهِ والوقوف على أبرز دلالات التضاد ,ومنها:

أولاً : التضاد في الأسماء :

فالتضاد الذي يكون فيها اللفظان المتضادان اسمين مثل كبير وصغير وكريم وبخيل سهل وصعب ...فإن أثر المعنى في التضاد إضفاء جمال أسلوبي بلاغي ,يلفت انتباه المتلقي .في تشكيل الثنائيات الضدية عند الشاعر في شعرهِ يعني:" إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية وفعلية بأزمنة مختلفة ,فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور ,تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازي فتغني النص وتعدد إمكانية الدلالة فيه [7] .

ويعدُّ التضاد في شعرِ محمود بن حسن الوراق إبداع شعري في إمكانية الشاعر ,فقد عمد إليها كثيراً في شعرهِ ؛لما لها من دلالات نفسية وتأملية تزيد من وضوح المعنى العميق ,وكان تضاد الاسماء الصدارة في ديوان الشاعر كما جاء أغلب شعره حول الوعظ والزهد في الدنيا والتذكير بالأخرة ويذكر الإنسان أن مصيره ترك الدنيا ,ولكن ندر عند الشاعر ذكر الخمرة وإن كانت بضع قصائد ومنها , فالشاعر جعل الخمرة رفيقته صباحاً ومساءً ,مصاحباً للنساء المغنيات وينعم بوصلهن ويجعل من ايامه تقسيم بين العتب والعتاب بين المحبوبة ,وقال :

اصطبح كأسَ شرابِ وأغتبق كأسَ تصابيٍ

وجعلُ الأيامَ قِسْماً بَيْنَ عَتبٍ وعتابِ

ووصالٌ واهتجارٌ وبعادٌ واقترابٌ [8]

في النص تتوافر فيه التضادات حين ساق الشاعر التضاد بين (الأصطباح, والأغتباق) فإن التضاد قائم على زمن يدل على الفعلان وهو (الصباح والمساء) ويدل هذا على استمرار الفعل في جميع الأوقات ,بحيث إضفاء جمالية وقوة في المعنى عند الشاعر وأعطى هذا البيت معنى صور فيه أن التظاهر بالشباب (التصابي) والعودة الى وقت اللهو ,وكأنَّ الشاعر من خلال الخمرة يشير إلى المحبوبة وما يدور بينهما من العتاب مستمر (العتب والعتاب) بين المحبوبة اشارة إلى جعل الأيام قسماً بينهما من العتاب الدائم ,أو ربما أن الشاعر قد تأثر بالخمرة فأخذ يحاكيها وكأنها محبوبته فالشاعر هنا جعل من صورة الأيام وكأنّها تقسم وفي الحقيقة أنها لا تقسم بل تصور مجازي ولإيحاء أن حياة الشاعر لا تخرج عن حالتي العتب والعتاب ,وهذا يزيد من جمال الفني عند الشاعر , ثم أورد تضاد بين (وصال واهتجار)و(بعاد واقتراب) فالشاعر لم يكتفِ بذكر العتاب بينهما بل جعل الأمر أكثر بعداً حين جعل الأمر بينهما يدل على الوصال والفراق وكذلك البعد والقرب ,فالشاعر هنا صور حالة التذبذب العاطفي التي يعيشها ,حين إبراز العلاقة بين الهجر والوصل والقرب والبعد جعل من ظاهرة التضاد بيان ما يدور بينهما في الزمن (الصبح والعشي) والبعد المسافة (الوصال والهجر)و(والبعد والقرب) فالأمر أصبح لا يطاق بينهما .لم يكتفِ الشاعر هنا بل نجد له تجارب وليدة زاهدة التي تلقنها من حياته التي عاشها الشاعر ,فالشعر اظهار معالم الداخلية للشاعر عندما يتأثر بشيء ما في حياته ,فشعره يتصف بتهذيب النفس في التعاليم الدين راسماً الطريق الناجي من الهلاك ,والمطلع على شعرهِ يلحظ أن أغلب شعره منار يهدي منه النور تكشف عنه زيغ الحياة القاسية, فقال:

لبستُ صروفَ الدهرِ كهلاً وناشئاً وجرَّبتُ حاليْهِ على العسرِ واليُسرِ

---

[6]) الاضداد في كلام العرب ,أبو الطيب اللغوي ,تح: عزة حسن :33. وينظر :الفروق اللغوية ,أبو هلال العسكري, تح: محمد إبراهيم سليم : 157.

[7]) الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم :7.

[8]) ديوانه : 46.

فَلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً من الغِنى ولم أرَ بعدَ الكفرِ شرّاً من الفقرِ [9]

في هذا النص يفتخر الشاعر بنفسه حين عاش تقلبات الزمن عليه وأحداثه منذ الشباب الى الشيخوخة ,وما يمر به من قسوة الحياة وهذا الأمر جعل من الشاعر أن يصبح خبيراً بأحوال الدنيا وتقلباتها ,وظف الشاعر التضاد بيَّن من خلالها قسوة الحياة وما يمّر به من الهموم التي تحول بينه وبين الشيب ,ففي البيت الأول جمع الشاعر ثنائية التضاد بين (كهلاً وناشئاً) و(العسر واليسر) فالحياة عند الشاعر لا تطاق حين ذكر الشاعر في بداية هذا البيت الشعري الاستعارة المكنية التي تبين الأمر الذي جرى على الشاعر (لبست صروف الدهر) وإن الأصل في ذلك الدهر لا يلبس أنما الإنسان هو من يقوب بالبس ولكن للمبالغة في الأمر وتعظيم الموقف فقد لجأ الشاعر لهذه الاستعارة ؛لكي يبيّن معاناة الشاعر من ثقل الهموم حين جعل الحزن المستمر عليه دون بني جنسهِ ,أما في البيت الثاني يُبين قيمة الغنى وأثره في حياة الإنسان ,وإن أعظم نعمة على العبد نعمة الدين ثم تليها نعمة الغنى ,فالغنى يصون الإنسان عن الذل والحاجة ,فالشاعر يرى الفقر من أشد المصائب على الإنسان بعد مصيبة الكفر وذلك لمّا فيه من ذّل واهانة وتحقير ومعاناة ,يقدم الشاعر نصائح لعامة الناس يدعوهم الالتزام بالدين وعدم الخروج عن الشرائع في (الدين والكفر) فلفظة الدين من معاني الإسلام ,ويكون للمسلم من الافضلية بالتقوى والأعمال الصالحة ثم أردفها بتضاد (خيراً وشراً) و(الغنى والفقر) ومن التضاد اشار الى بيان مراد الشاعر في ذكر معالم الخير والشر والفقر والغنى ,حين ربط الشاعر أفضلية الدين بالفقر خيراً على نقيض الكفر بالغنى شراً ,ومن خلال البيتين يُقدم لنا الشاعر أمرين أحدهما بما يخص الشاعر نفسه وما اصابه من الهموم والأحزان ,والثاني يُقدم نصيحة لعامة الناس .

فالشاعر استطاع ان يصور لنا ما يعبر عن عواطفه بأسلوب رائع حسن لفظه ودق معناه ,وهو ذو ملكة شعرية عالية تهيأ له الكثير من الصور البارعة كما تهيأ لها أسلوب رشيق .وكانت معانيه تجمع بين التجربة والخيال ,واستطاع أن يضفي على معانيه روحاً جديدة حتى عدّ من أشعر الناس ومن علماء الشعر [10] وقال محمود بن حسن الوراق:

يا غائبُ الفقرِ الا تزدجرُ عيبُ الغِنى أكبرُ لو تعتبرُ

من شّرفِ الفقر ومن فضلهِ على الغنى لو صح منك النّظر [11]

في الأبيات الشعرية نلحظ بيان الشاعر من التضاد(الفقر والغنى) حين يخاطب الشخص الذي يذم الفقر ويعيبه داعياً ذلك الكف عن هذا التأمل في عقل وحكمة ,ثم بين الشاعر أن الغنى عيوبه كثيرة ومنها التكبر والطغيان والانشغال في الدنيا ,وإن أعظم العيوب للغنى وليس الفقر (من شرف الفقر..) ليرسم بيان أفضلية الفقر على الغنى .وكان الأسلوب الاستفهام الحضور عند الشاعر الذي خرج إلى معنى مجازي يواكب غرض الشاعر معنى الأنكار والتوبيخ ,(لو تعتبر) أسلوب امتناع يحث فيه الناس ويدعوهم الى إلى التأمل والاتعاظ من الغنى ,وهذه الأساليب التي ذكرها الشاعر تقوم بتقوية الحجة والاقناع في الأحكام المبنية على الفقر والغنى .وقال :

فأخو العقلِ مُمسكٌ يتوقّى ويخافُ الدُّخولَ فيما يعيبُهُ

وأخو الجهلِ لا يُقدِّرُ في الأمـــ ر وإن أشكلتْ عليه ضروبُهُ [12]

فالشاعر يفرق بين العاقل والجاهل من خلال ظاهرة التضاد ,فذكر بينهما فروق أن الرجل العاقل يستطيع أن يتوخى الخذر والحيطة والابتعاد عن ما يعرضه للمشاكل والابتعاد عن ما يعيبه في دينه وأخلاقه ,إما

---

[9]) ديوانه: 26.
[10]) ينظر: العقد الفريد: 366/5.
[11]) ديوانه : 67.
[12]) ديوانه : 36.

الجاهل فهو نقيض العاقل لا يحسن تقدير الأمور وعواقبها فيقع في الكثير من المشاكل التي لا يحسن نتائجها ,فهو يقدم على أشياء دون تفكير ,فالشاعر اشار إلى أمرين الأول الانسان العاقل أن يتغلب على المصائب والدنيا والابتعاد عن المضار ,والجاهل الذي يوقع نفسه في المشاكل. وقال :

مَن قال ذا مالٍ كثير ولم يَقنَع فذاكَ المُوسِرُ المُعسِرُ

وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإن كانَ مُقِلّاً فهو المُكثِرُ

الفقرُ في النفسِ وفيها الغنى وفي غِنى النفسِ الغِنى الأكبرُ [13]

فالشاعر يبين أن الغنى الحقيقي لم يكن بالمال الكثير ,ولكن القناعة ورضا النفس ,حين ذكر صفات الإنسان إذا أعطاه الله الخير الكثير ولم يقنع بذلك الخير فقد بينه في التضاد بين (الموسر والمعسر)ففي البيت الأول فأن دّل المعنى على أن ليس من يمتلك مالاً كثيراً فهو غير قانع في الحقيقة وهذا الغنى عنده لا يكون إلا خارجياً إما في الباطن فقير ؛لأن صفة الإنسان الطماع دائماً يشعر بالحاجة للمال ,فالشاعر ركز على هذه القضية ويحذر المجتمع من هؤلاء الناس الذين تكون أموالهم عباءً عليهم .أما في البيت الثاني (مقلا ومكثر) يشدد على أن صفة الإنسان القنوع راضياً بما قسم الله له ,فهو معبر عن ذلك المال الدائم والقنوع ؛لأن القناعة تمنح الإنسان راحة البال ,وفي البيت الثالث فرسم الشاعر دلالة الفقر الحقيقي أنما تكون فقر النفس وطمعها والغنى بالنفس والرضا بالقليل .قال في وصف الدهر

فأجاكَ من وفدِ المشيبِ نذيرٌ والدهرُ من اخلاقِهِ التغييرُ

فسوادُ رأسِكَ والبياضُ كأنّهُ ليلٌ تَدبُّ نجومُهُ وتسيرُ [14]

فالتضاد يرسم ما يجري على الإنسان من تغيير مستمر بين اللونين (السواد والبياض) يدل على أن الشيب قد ظهر عليه وجعل من الشيب بمثابة شخص (منذر) يحذره من تقديم العمر به واقتراب الشيخوخة ومن صفة الزمن (الدهر) التغيير لا يمكن ابقاء الأشياء في محلها ,فالشيب يرسل نذيره وكأنه إنسان يحذر الشخص من اقتراب الاجل ,ولم يقف الشاعر هنا بل ذهب أبعد من ذلك فجعل من التضاد دلالة بالتشبيه التمثيلي حين شبه الشاعر الشعر الأبيض الذي بدأ في أول ظهوره بالنجم المتناثر في السماء وشبه رأس الإنسان بالليل من باب السواد والظلام .

قال محمود بن حسن الوراق في وصف الصدق وكيف صور لنا هذا الأمر بأسلوب حسن لفظة ودق معناه ,فهو أظهر لنا الصورة البارعة التي تجمع بين التجربة والخيال وأضاف روح جديدة على شعرهِ :

الصدقُ حلوٌ وهو المرُّ والصدقُ لا يتركه الحُرُّ

جوهرُ الصدقِ لها جوهرٌ يَحسدُها الياقوتُ والدُّرُّ [15]

ورد التضاد بين (حلو ومرّ) وهذا التضاد أظهره الشاعر ليبين لنا أن الصدق فهو الحلو وفي نفس الوقت مرَ – ؛لأن الصدق قد يسبب لصاحبه مشقة وتعب وذلك من أجل قول حقيقة لا يرغب الناس بها أما صفة (حلو) أراد بها الشاعر مما يترتب عليها من راحة للضمير وتجلب الثقة والاحترام ,فالإنسان الكريم والشريف والحر لا يترك الصدق مهما كلف الأمر ومهما كانت نتائجه ,فإن ورود التضاد جعل المعنى يوضح صفة الصدق جمعة بين مرارة القول والحقيقة على الناس الضعفاء وحلاوة الأمر عند الشرفاء ,والبيت الثاني بين منزلة وقيمة الصدق ,فللصدق جوهر ,حين صور الشاعر الياقوت والدر يحسدان الصدق مشبههم بإنسان يحسد ,فالصدق شيء ثمين يفوق قيمة الجوهر والنفائس الكريمة .ولكن يشير أن

[13]) ديوانه : 65-66.
[14]) ديوانه :69.
[15]) ديوانه :77.

الإنسان الصادق فهو المحبوب عند محبيه على شاكلته أهل الحق – وفي نفس الوقت مكروه من الناس الذين يحيدون عن الحق ولا يلتزمون بالحق ولا مبادئ الحق ,ثم يضيف الشاعر ان الصادق لا يترك الحق فجوهر الرجل الصدق كما جعل الياقوت والدر يحسدان الصادق على صدقهِ . وقال محمود بن حسن الوراق :

ولم أرَ مثلَ الفقرَ أوضع للفتى ولم أرَ مثلَ المالِ أرفع للنذلِ

ولم أرَ عزّاً لإمرئٍ كعشيرةٍ ولم أرَ ذلا مثل نأيٍ عن الأهلِ [16]

فالتضاد في البيت الأول بين (الفقر والمال) المال هو من معاني الغنى وتضاد بين (أوضع وأرفع) فالشاعر في هذه الأبيات ينتقد المجتمع ونظرتهم حول قضية المال ,حين جعل من المال سبباً في رفعة بعض الأفراد ,وجعل من صفة الفقر في الحط من أقدار الناس بغض النظر عن أخلاقهم وفضائلهم التي يتصفون بها ويحمل هذا البيت الشعري صفة المبالغة في وصف وبيان أثر الفقر والمال في رأى الناس ,وفي البيت الثاني نجد فاعلية التضاد (العز والذل) جسدت مكانة العشيرة العظيمة في حياة الإنسان فهم مصدر القوة والعز والابتعاد عنهم يورث الضعف والذل ومن خلال التضاد يبين الشاعر معنى الفقر صفة حسنةً تجعل الرجل متواضعاً وسلسلاً ومحبوباً عزيز النفس في عشيرته وأهلهِ, ذكر أسلوب النفي توكيداً على الأمر والمبالغة في اظهار المعنى ,لكي يؤكد أن الملجأ الأول للشخص هو الأهل والعشيرة والبعد عنهم أشد ما يؤلمه ويؤثر في حياته ؛لأن يكون في حالة الضعف والذل .قال محمود بن حسن الوراق :

كفاكَ بالشيبِ ذنباً عنْدَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيعاً أيُّها الرجلُ [17]

في البيت الشعري تتزاحم فيه التضادات بين (الشيب والشباب) و(ذنباً وشفيعاً) و(غانية والرجل) وهذه التضادات جاءت كلها لترسم بيان دلالة الشاعر حين جعل من الشباب استمالة القبول لدي النساء ,وإن الشيب سبب نفور النساء من الرجل عندما يصبح الشيب علاه ,فالشاعر في هذا النص يخاطب رجلاً كبيراً تقدم به العمر ,ووجب على الإنسان الكبير الامتناع والابتعاد عن المحرمات التي حرمها الله والتزام بالعبادات والفرائض التي وجب الشكر بها ,وجاء بلفظة (كفي) التي تشير الى الامتناع عن هذا الأمر الشنيع في الذهاب لمكان البغاء حيث ذكر (غانية) المرأة المستكملة لصفات الجمال فهنا تحذير من هذا الأمر بحيث يعلمه أن الذنوب التي ارتكبتها في شبابك يكفيك منها أثماً .قال محمود بن حسن الوراق :

حتى إذا نَزل المشيـ بُ وصرتَ بيْنَ عمامتينِ

سوداءَ حالكةً وبيـ ضاءَ المناشرِ كاللجينِ [18]

فالشاعر في هذه الأبيات يُبين أثر الشيب في الرأس ,حين مزج الشعر بين اللونين من خلال ذكر التضاد بين (الأسود والأبيض) حت كأن الرأس أصبح يلبس عمامتين في اللون ,فشبه الشاعر الشعر الأسود بالعمامة السوداء و وشبه الشيب في بياضه وصفائه بالفضة (كاللجين)لدلالة البياض ويشير في ذلك الى الإنسان الذي أصبح كبير في العمر فما كان من الشاعر الا أن يأتي بالألفاظ الاستعارة ليعلم أن هذا الرجل نزل به الشيب لدلالة على الكبر في السن بحيث ظهرت فيه ما يدل على ذلك هو الشيب ,و(عمامتين)هنا استعارة بين اللونين وهو اللون الأسود واللون الأبيض, أما في البيت الثاني فهو بين الأمر بوضوح من خلال الأسلوب السهل القريب من المتلقي حين جعل مقابل الشعر الأسود هو الليل وشبه الشعر الابيض باللجين ,فإن التضاد أثر في المتلقي وزاد الصورة أكثر وضوحاً وجمالاً يشد الانتباه ,فنلحظ للتضاد دور

[16]) ديوانه : 104.
[17]) ديوانه : 112.
[18]) ديوانه: 128.

بارز في قصائد الشاعر حين أكثر من ذكر الشيب والشباب ليدل على التطرق للقضايا الاجتماعية . قال محمود بن حسن الوراق :

أيُّها الشيخُ كم تروم وتبني ليسَ منكَ الدّنيا ولا أنتَ فيهَا

لا تَرُمها فأنتَ وإن كنتَ مقيماً بها كمنِ زالَ عنَها [19]

استفتح الشاعر النص بالنداء حين خاطب الشيخ الكبير الذي أنقضى عمره بين التعب في هذه الدنيا منشغلاً بجمع المال فهو يذكره بغن الدنيا ليست ملكاً لأحد فمالك أنت أيها الشيخ يقدم النصح له حتى لا يتعلق بالدنيا الفانية وينسى دار البقاء الأخرة مهما طال المقام فلا بد من الرحيل ,ذكر التضاد ليعلم أن هذا الأمر أصبح حتمياً كل إنسان مصيره الموت وترك هذه الدنيا الفانية (مقيماً وزوال) وكان للاستفهام حضور بارز في النص خرج إلى معنى الأنكار والتوبيخ فهو يصور الإنسان المقيم في الدنيا بالراحل عنها ,للدلالة على أن الاقامة مؤقتة والمصير واحد لكل إنسان . قال محمود بن حسن الوراق :

أخافُ على المُحسنِ المتَّقي وأرجو لذي الهفواتِ المُسيءِ [20]

فالتضاد بين (المحسن والمسي)و (وأرجو وأخاف) فالشاعر يعبر عن خوفه الشديد على الإنسان الصالح من التردي في عمله أو يقصر به وفي الشطر الثاني يرجو رحمة الله وعفوه للإنسان المذنب صاحب الهفوات والسيئات ؛لأن باب التوبة مفتوح دائماً ,فالبيت الشعري يجمع بين الخوف والرجاء وهذه من المعاني الإسلامية التي تجلت عند الشعراء الإسلام فلا يؤمن المحسن مكر الله ولا ييأس المسيء من رحمته.

ثانياً : التضاد في المعنى :

فتنوع شعر محمود بن حسن الوراق بالتضاد المعنوي ,وجاءت هذه من أجل تقوية المعنى وتجليه المفهوم ؛ولتكون عابثاً على التفكير والتحليل والغوص في أعماق المعاني ولكشف عن المكنون تحت هذه الألفاظ المتضادة والمتقابلة ,فالشاعر يصرح بأحد الطرفين ويترك للمتلقي المتعة بالتفكير لكي يكشف المقابل الآخر المتروك [21] ,فالإنسان في حياته يدور حول التناقض .قال محمود بن حسن الوراق في عزاء جاريتهِ (نشو) حين ذكر عنده فضائلها لكي يحزنوه ولكن الشاعر صاغ الأمر بأسلوب يعبر عن الاحتساب :

فأيُّ النِّعمتينِ أعمُّ فضلاً وأكرمُ في عواقِبها إيابا

أنعمتُهُ التي أهدتْ سروراً أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلتْ بكره أحقُّ بصبرٍ من صبَر احتسابا [22]

فالشاعر هنا أستفتح النص بالاستفهام فهو جعل المحبوبة من النعم التي نعم الله بها عليه ,ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً سرعان ما تلاشى هذه النعم عند وفاة المحبوبة (الجارية) فالتضاد بين (سروراً وثوابا)وكذلك (نعمة الدنيا ونعمة الأخرة) والثواب من مسببات الحزن عند الشاعر أو نتيجة عن الحزن ,فالشاعر مؤمن بهذا الأمر وأحتسب الأمر عند الله على ما أصابه من الألم بعزاء جاريته ,فأن الشاعر يجعل بصبره على هذه الجارية أن ينال الرحمة والثواب ,ففي البيت الثالث أجاب الشاعر عن الاستفهام الذي يتساءل عن النعم في السرور والحزن ثم يدعوا بأن النعمة الثانية أفضل حتى لو جاءت على صور البلاء أو المصائب

---

[19]) ديوانه: 134.
[20]) ديوانه: 136.
[21]) ينظر: الثنائيات الضدية في قصيدة البردة :677.
[22]) ديوانه :40-41.

فهي تورث الأجر على عكس النعمة التي تمنح العبد لذة والسرور موقتاً دنيويا ,فالشاعر جعل من الصبر على البلاء قد يكون خيراً في كثير من النعم الظاهرة على العبد ,صور الشاعر الأمر أن النعمة بإنسان يهدي ويمتح من باب الاستعارة التشخيصية .

ويرى الشاعر في المنية موعظة تؤول به الى طريق الزهد وتحفزه على التقوى والصلاح ,فما على الإنسان ألا أن يغتنم فرص الحياة لكي يقدم بين يدي الله من الأعمال ما يجعل له قدراً ,فقال محمود بن حسن الوراق :

اغتنم غفلة المنيَّة وأعلمْ إنّما الشيبُ للمنيّة جسرُ

كمْ كبيرٍ يومَ القيامةِ يُقصي وصغيرٍ له هناكَ قدرُ [23]

ففي هذا النص جاء الشاعر بأسلوب التحذير لعامة الناس حين ذكر غفلة الموت ,والحث على الاستعداد للأخرة وعدم ارتكاب الذنوب والاعتزاز بالدنيا أو المكانة الدنيوية فالقيمة الحقيقية عند الشاعر ما يقدم الإنسان من عمل الصالح وليس المقياس في العمر أو الجاه أو المنصب ,فكم من عظيم الشأن في الدنيا يبعد ويحرم من الكرامة يوم القيامة وكم من إنسان متواضع وفقير في الدنيا فقد يحصل على المنزلة يوم القيامة ,فالشاعر يحذر الناس أنهم يتحاسبون على كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة ,وجعل من الشيب تنبيه للإنسان وكأنها العلامة الأولى للموت فالشاعر هنا صاغ هذا الأمر عن طريق التحذير والتنبيه حين ورد التضاد بين (يقصي وقدر) يقصي هو البعد ويقدر القرب و(صغير وكبير) ,ففي البيت الثاني وردت(كم)الخبرية ليعلم أن كم من شخص في هذه الدنيا من ذو الشأن وصاحب جاه ولكن يوم القيامة يبعد عن الجنة ,فالشاعر في هذا التضاد بين أن كل شخص سواء أكان كبيراً أو صغيراً أو فقيراً أو غنياً وغيرهم فعملهم من يقرّبهم من الجنة ,صور الشاعر المنية بالإنسان يغفل وينتبه ,وشبه الشاعر الشيب بجسر يؤدي الى الموت من باب الاستعارة .وقال محمود بن حسن الوراق في وصف العيون عندما تكشف عن الأفئدة وتغني عن الافواه:

إنَّ العيونَ على القلوبِ شواهدٌ فبغيضُها لك بيّنٌ وحبيبُها

واذا تلاحظتِ العيونُ تفاوضتْ وتحدَّثتْ عمّا تُجِنُّ قلوبُها

يُنَطقنَ والأفواهُ صامتةٌ فمّا يُخفى عليكَ بريئها ومريبها [24]

نلحظ كيف صاغ الشاعر هذا النص وبيان ماهية العيون حين تكشف ما تخفيه من مشاعر واحاسيس على القلوب وشدتها فالتضاد أظهر ذلك الأمر (العيون والقلوب) وهنا سياق النص وما أشار اليه المعنى من خلال العيون تعرف المحب من المبغض الشي الظاهر أما القلوب الشي الباطن ,فالشاعر من خلال هذا النص يشير أن ما نراه في العيون فهو نابع عن تلك القلوب ,فهي تظهر الحب أو الكره ,أما في البيت الثاني نلحظ التضاد بين (يلاحظ وتُجنُّ) أي بين الشي المرئي وغير مرئي ,ولم يكتف الشاعر بهذا بل ذهب إلى ابعد من ذلك حين جعل من العيون الكلام والأصل في ذلك للأفواه من باب الاستعارة ,ثم تضاد في (النطق والصمت)و(بريئها ومريبها) فالشاعر قلب العتاد عليه حين جعل من العيون الكلام والأفواه صامته ,ثم جعل من صفة العيون أن تكون شاهدة على القلوب وهنا لا العيون تشهد ولا القلوب ترى ومن خلال التضاد أراد أن يبين أن المحبين يستطيعون من خلال العيون أن يعبروا عما في داخلهم فكان لثنائية التضاد أبلغ في النص وأعمق في المعنى ,كان أسلوب الشاعر متناهي الدقة حين أختار الالفاظ التي تعطي معاني أكثر وضوحاً وأبلغ أمراً ,أراد الشاعر أن العيون تكون مرآة القلوب وهي أكثر دقة في التعبير في الكشف عن المشاعر والاحاسيس التي تعجز الالسنة عن البوح بها .وقال محمود بن حسن الوراق :

---

[23]) ديوانه : 67.
[24]) ديوانه :20.

لا يُحسنُ النُّسكَ والشبابُ ولا البَطالاتِ والخضابُ

كلُّ نعيمٍ وكلُّ عيشٍ قبلَ الثلاثينَ يستطابُ [25]

فالشاعر جاء بالتضاد المعنوي يفهم من سياق الكلام لفظة (النسك) من معاني الدين الإسلامي والالتزام بهذا الأمر و(البطالات)اللهو والفراغ أفعال المخالفة للشريعة الإسلامية فالشاعر يرى أن مرحلة الشباب تكون زمن التمتع بالحياة والنشاط والحيوية والرغبة في مستلذات الدنيا –فلا يمكن معها الانسجام والانقطاع التام للعبادة (النسك) كما لا يليق بالشخص الذي يتقدم به العمر أن ينشغل باللهو ,ويؤكد الشاعر أن مظاهر النعيم والعيش يكون قبل بلوغ الثلاثين(لا يحسن النسك والشباب) اسلوب النفي المطلق الذي يفيد النسك لا ينسجم مع طبيعة الشاب في مقبل العمر(كل نعيم وكل عيش)أسلوب توكيد للدلالة على شمول متاع الحياة ,فلفظة (الخضاب) فهنا تضاد معنوي كناية عن الشيب والتقدم في السَّن الذي يدفع الرجل الى خضاب لحيته وشعرهِ ,والبيت الثاني بيَّن مراد الشاعر في البيت الأول .قال محمود بن حسن الوراق :

مَن أطلقَ الطَّرفَ اجتبى شهوةً وحارسُ الشهوةِ غَضُّ البصرِ [26]

فالتضاد بين(أطلق الطرف وغض البصر)فأراد الشاعر في أطلق الطرف النظر(البصر) وقصد الشاعر به من أطلق طرفه إلى إعراض الناس زادته شهوةً وجاء بالشطر الثاني غض البصر ,فالشاعر هنا بين من أراد أن يحفظ نفسه لا يطلق النظر بل وجب عليه غض البصر لابتعاده عن المحرمات فذكر لفظة (شهوة) ليعلم المسلم لا ينظر إلى ما حرم الله ,البصر يقابل الشهوة وغض البصر يقابل حارس الشهوة وتعني هنا الابتعاد عن المحرمات ,فالمعنى في البيت يبين من ترك عينه تنظر فيما تشتهيه النفس قادته الى الشهوة من أثار الرغبة ,وفي العجز فذكر العلاج من هذا المرض (الشهوة) وحفظ النفس تكون بغض البصر عما لا يعنيه .

ثالثا: التضاد في الأفعال:

وهذا التضاد يكون بين الأفعال ويكون المتضادان فيها فعلين مثل يضحك ويبكي ويموت ويحيى وقام وجلس ,وهذا النوع وجد في شعرهِ وهذا التنوع يدل على مقدرة الشاعر وقريحته ودلالة اللفظة .

ولعل من أهم تلك الوظائف في التضاد معرفة نقيض الشيء ؛ذلك لأن النقيض يوفر لنا إمكانية المقارنة بين الشيء ونقيضه ويساعدنا ذلك على معرفة الأشياء الايجابية والسلبية [27] وهذا الأمر يكشف لنا ما يعنيه الشاعر في الأبيات الشعرية وخاصة بين القضايا الاجتماعية سواء أكانت بحزن أو بفرح , وقد انماز شعر محمود بن حسن الوراق من الثنائيات الضدية بين الأفعال ,وقد نهج طريقاً اصلاحياً وليد التجربة الشخصية تعتمد صلاح الفرد التي تعبر عن حاجاته وروحه الزاهدة ونقل هذه التجربة إلى الآخرين ,فهو داعي إلى الاصلاح مستعمل شعره ليبث القيم العليا ويجنب المجتمع من المهالك ,فقال محمود بن حسن الوراق :

رأيتُ صلاحَ الفردِ يُصلحُ أهلهُ ويُعديهمْ داءُ الفسادِ إذا فسدَ

يَعظّم في الدنيا بفضلِ صلاحهِ ويُحفظُ بَعْدَ الموتِ في الأصلِ والولدِ [28]

في هذا النص وردت تضادات بين الأفعال حين جاء بالفعل (يصلح وفسد) وهذا يعني أن صلاح الإنسان واستقامته ينعكسان على أهله وأسرتهِ ويكون هو سبب اصلاحهم أو يكون سبب الفساد, وهنا اشارة إلى

---

[25]) ديوانه : 39.
[26]) ديوانه : 79.
[27]) ينظر :الثنائيات الضدية في قصيدة نهج البردة ,بغداد عبد الرحمن ,مجلة الآداب وللغات ,جامعة تلمسان العدد14 ,2008م:166.
[28]) ديوانه: 25.

صلح الإنسان وهذا ما أدل عليه الحديث الشريف (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ,وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[29] فهذا الحديث يؤكد معنى الشاعر في اصلاح الإنسان نفسه واهله وكذلك إذا افسد يفسد الأهل معه ,ومن خلال التضاد أظهر لنا الشاعر المعنى المراد عنده وهذا يوصف براعة الشاعر الجيد فلمعنى أدل على الشاعر في التعبير عن القضايا الاجتماعية –ولم يكتف هنا بل نجده في البيت الثاني يتم الشاعر المعنى حين جعل من الإنسان الصالح ينال المكانة والاحترام بين الناس في حياته بسبب صلاحه واستقامته ولا ينقطع ذكره وصيته الحسن بعد الموت ويبقى محفوظاً في عشيرته واسرته ونسبه من جهة وولده يورث السمعة الطيبة بعده ويقول :(يحفظ بعد الموت)فالموت من معاني الآخرة وهنا اشارة إلى ما يذكره بعد الموت بالعمل الخير والولد الصالح يدعو له كما قال الرسول (ص) أذا مات العبد انقطع رزقة الا في ثلاثة (.... وولد صالح يدعو له ...) [30] فشبه الشاعر الفساد بمرض ينتقل (يعدى منه) إلى شخص آخر ,حين أثبت ذلك من صفة العدوى من باب الاستعارة . وقال محمود بن حسن الوراق:

يشيبُ الناسُ في زمنٍ طويلٍ ولي في كلِّ ثالثةٍ مشيبُ

وأخفى الشيبَ جهدي وهو يبدو كما غطّى على الرَّيب المُريبِ [31]

في هذا النص يشكو كثير ما يلاقيه من المتاعب والهموم المأساوية التي جعلت من الشاعر قد يعتليه الشيب في مقبل العمر ,ولكن الشاعر رسم عادة الشيب عند الناس عندما يتقدم العمر بهم ,ولكن هذا الأمر عنده يختلف حين بدأ الشيب في بداية حياته ,وهذا يدل على الهموم التي تتجدد باستمرار ,فالتضاد يظهر لنا معاناة الشاعر (أخفى ويبدو) أي أفعال الخفاء والظهور ,ولكن هناك تضاد في المعني في البيت الأول لا بد من الوقوف عليه وبيانه ؛لأنه سيوضح هذا المعنى كيف الناس يشيب في زمن طويل ,وهنا كناية عن طول أعمارهم ولكن ما يعنيه الشاعر في (ولي في كل ثالثة مشيب) وهنا تضاد معنوي يفهم من سياق النص وهذا الأمر يحتمل معنيان الاول ما يعنيه الشاعر أن شعره أبيض في كل ثلاث شعرات فيكون ثلث شعرهِ اصبح أبيض أما الرأي الثاني وهو أقرب للواقع فهو قد علا رأسه الشيب وهو في مقتبل العمر –أي في العقد الثلاثين ويؤكد هذا المعنى الشطر الأول من البيت (يشيب الناس في ..) فالمعنى الثاني أقرب لمراد الشاعر وحالته التي يمر بها وهنا مبالغة في أثار الشيخوخة ,إما في البيت الثاني فنجد ثنائية التضاد رسمت حالة الشاعر في اخفاء هذا الشيب ولكن دون جدوى بل قابل للظهور بحالة مستمرة ليدل أن الشاعر قد هرم في مقبل العمر ,وجعل حالة التضاد بين (الريب والمريب) الريب -السبب بخروج الشعر الأبيض – المريب – الاستحالة في إخفاء الشيب ,أو هي سبب والعلة بخروج الشيب .ولعل قضية الحياة والموت عند الشاعر أخذت حيزاً كبيراً في تأملات الشعراء ,ووقفوا في أشعارهم يصورون قضايا الدنيا الكثيرة في فنهم ,وإن الشعر من أقدر الأنواع الأدبية في تصوير هذه التجربة الإنسانية [32] وإن الشاعر ابن الوراق كان له الحضور البارز في شعرهِ بهذه القضية الشعرية التي وصفها الشاعر بدقة متناهية في شعرهِ ,وقال محمود بن حسن الوراق :

وكم من مريضٍ نعاه الطبيبُ إلى نفسهِ وتولّى كئيبَا

---

[29]) سنن ابن ماجه ,أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تـ(273هـ) ,تح: محمد فؤاد عبد الباقي ,دار إحياء الكتب العربية :2/ 1318.

[30]) سنن الترمذي ,محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي تـ(279هـ) ,تح: أحمد محمد شاكر وفؤاد عبد الباقي ,شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ,مصر,ط2 , 1975م: 3/ 652.

[31]) ديوانه 40.

[32]) ينظر: الثنائيات الضدية في شعر ابن زيدون ,ضمياء أحمد قاسم ,رسالة ماجستير ,جامعة ذي قار ,كلية التربية للعلوم الإنسانية ,2015م : 99.

فماتَ الطبيبُ ,وعاشَ المريضُ فأضحى إلى الناسِ يَنعى الطبيبَا [33]

استفتح النص بالاستفهام ليبين قضية اجتماعية غفل عنها كثير من الناس أن الأعمار بيد الله وحده لا يمكن للعبد أن يعلم الغيب ففي البيت الأول بين حزن المريض على نفسه عندما قال له الطبيب أنه سيفارق الحياة الدنيا وهذا جعل من الشاعر في حالة الاحباط ويظهر على المريض الحزن الشديد (نعاه) هذه اللفظة تدل على الحزن الشديد ,فالبيت الثاني فيه تضاد (مات وعاش)و(ينعى الطبيب وينعى المريض) فالتضاد هنا كان الجواب على الاستفهام في البيت الأول ,فقد جاء هنا بكسر أفق التوقع أو (المفارقة) عندما أصبح المريض ينعى الطبيب ولكن مشيئة الله قد تقضي الأمر بخلاف رأي الطبيب ,فأصبح حالة فزع عند المتلقي عند سماع هذا الأمر ,بأن الطبيب قد مات والمريض عاش ,ولكن الشاعر جاء بهذا التضاد ليعلمنا أن الموت لا يفرق بين صغير ولا كبير ولا مريض ولا طبيب ,فأن الطبيب الذي يعالج المريض مات قبل مريضهُ ,يدعو الى التواضع وعدم التبجل بالعلم أو الخبرة ؛لأن هذا الأمر راجع إلى قضاء الله . قال محمود بن حسن الوراق:

المرءُ بعدَ الموتِ أحدوثةٌ يُفنَى وتُبقى منه آثارُهُ

فأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئ تطيبُ بعدَ الموتِ أخبارُهُ [34]

في النص الشعري تضاد بين (يفني وتبقى)فالشاعر في هذا النص أراد بيان صفات الرجل الذي تبقى أعمالهِ الصالحة بعد موته فهو يفنى جسده ويغيب عن الدنيا ,فذكر لفظة (تبقى) هو الذكر الطيب أي أعماله وسيرته تبقى بين الناس محمودة فأما الموت حتمي لا مهرب منه ولكن عمل الرجل هو من يخلده سواء عمل عملاً طيباً ذكر به بعد موته أو عكس ذلك يذكره الناس نلحظ (أحدوثة) وأفضل الناس من ترك بعد موته ذكراً حسناً ,تخلده بعد موته وسيرته الطيبة يتحدث الناس عنه بالخير والثناء .وقال محمود بن حسن الوراق :

أيّ جهلٍ يكونُ أبَيْنَ من جهـ لٍ أراني أضحى عليه وأمسى

أبغضُ الناسِ أن ظننتُ على الظـ نَّ وأنسى اليقينَ من علم نفسي [35]

استفتح الشاعر البيت بالاستفهام الانكاري خرج إلى معنى التوبيخ والتعجب في هذا النص يعاتب الشاعر نفسه ويستنكر حالة في الشك عند الإنسان من خلال التضاد (الظّن واليقين) وما بينهما شتى ,فهنا الشاعر يحذر أخذ الأمر بالشك وترك المحقق (المعلوم) ويعتبر الشك أو الظنّ عند الشاعر من الجهل بل أشد من الجهل الذي وقع فيه صباحاً ومساءً (أضحى وأمسى) بتضاد لدلالة الجهل عند هذا الشخص الذي يبني أفكاره على الشك ,فالظنّ يحتمل الأمرين الوقوع وعدم الوقوع فالشاعر يحذر من هذه الصفة التي تجني ثمارها الكره والحقد والضغينة ,أما اليقين يحتمل الحقيقة المطلقة ,فوجب على الإنسان التأكد في الأمر ولا يجعل للشك محل فهولا يدع الناس بالبهتان بل من الواجب عليه اليقين لأمره ,فما بالك بأن يشك على الشك أي يعتمد على التخمين والشك فهو يذم اتباع الظنّ واهمال اليقين فالاعتماد على الظنّ وترك الحقائق الثابتة أقبح صورة للجهل بل الواجب اليقين في الأحكام ,وهذه تذكرنا بنظرية(الشك للشك)طه حسين التي تداعت بمرور الزمن ,فالتضاد أظهر مقدرة الشاعر في قول هذا المعنى .وقال محمود بن حسن الوراق :

فأمّا كريمٌ صُنتُ بالجودِ عرضَهِ وإمّا لئيمٌ صُنتُ عن لؤمهِ عِرضي [36]

---

[33]) ديوانه : 45.
[34]) ديوانه : 77.
[35]) ديوانه : 84.
[36]) ديوانه : 88.

فالتضاد وقع بين (كريم ولئيم)و(الجود ولؤم) فالشاعر في هذا النص كيف يتعامل مع الناس في أمرين الرجل الكريم الذي يصون كرامته وسمعته بالإحسان والجود عليه ,الذي يؤتمن في كل شيء ؛لأنه لا يطعن في اعراض الناس ,فنجد له القبول من أهله وعدم التعرض له بالسوء على نقيض الرجل لئيم وجب الابتعاد عنه لكي يصون كرامته وعرضه ؛لأنه ذو لسان سليط في أعراض الناس فهو يتصف بالأفعال الشنيعة التي لا يقبل بها الدين ولا المجتمع أما (الجود ولؤم) فالجود من صفات الإنسان الكريم والمحبوب ,ولؤم من معاني البخل ومن خلال التضاد بين أن الكريم يؤتمن في كل شيء والبخيل أو لئيم فهو لا يؤتمن ولا يرغب به .

رابعاً : تضاد سلب

فهو يكون بين معنيين متضادين أحدهما مثبت والأخر منفي أو بين أمر ونهي وكذلك الاسماء المثبتة والمنفية [37] إنه يعني النفي ضد الإثبات ,أي بمعنى آخر يعني الشيء الموجود مقابل الغير الموجود ,وعرفه عبد القادر الجرجاني ,بقولهِ:" إن المتقابلين بالإيجاب والسلب أمران أحدهما عدمي والآخر مطلق كالفروسية واللافروسية " [38] أما أبو هلال العسكري فقد سماه السلب والإيجاب بقولهِ :" وهو أن يُبنى الكلام على نفي من جهة ,وأثبات من جهة أخرى ,أو الأمر به من جهة والنهي عنه من جهة "[39] وكان وفرت هذا النوع من التضاد في شعر محمود بن حسن الوراق :

وإذا مرضتَ من الذنوبِ فداوِها بالذّكرِ إنّ الذّكر خيرُ دواءِ

والسقمُ في الأبدانِ ليس بضائرٍ والسقمُ في الأديانِ بلاء [40]

في هذا النص تتزاحم فيه التضادات بين الأفعال وتضاد السلب كلها جاءت في سبيل بيان قضية اجتماعية فقد ركز عليها الشاعر من خلال شعرهِ حين ذكر التضاد بين (مرضت ,فداوها)حين شبه الشاعر الذنوب والأخطاء التي يقع فيها الإنسان بمرض يكون في القلب والروح ,وجعل العلاج لهذا المرض هو طاعة الله والتوبة ؛لأن الذكر أفضل ما تطهر بها النفس وترفع الذنوب , فهو جعل لعلاج تلك الأمراض من الذنوب ودوائها الذي لا يمكن الشفاء منه الا بالذكر والرجوع الى الله ثم الأعمال الصالحة ,وتضاد بين(الذنوب والدواء) فجعل الذنوب من مسببات الأمراض ,فالشاعر لجأ إلى التضاد ؛لكي يعلم أن هذا الأمر يستحق بيان ماهيته والتأكيد عليه ؛لأنها قضية عقائدية وجب الالتزام بها ,أما في البيت الثاني فالتضاد السلب قد وقع بين (الأبدان ليس بضائر والاديان بلاء) فتضاد السلب يُبيّن ما يعنيه الشاعر أن الأمراض التي تصيب الإنسان في ظاهرهِ فليس مهمة سواء أكانت الابتلاء في أي عضو في جسمهِ الخارجي , على عكس الأمراض التي يصاب بها المسلم في دينهِ ,فالشاعر يرى أن الابتلاء الحقيقي الذي يصيب الإنسان في دينهِ وأوامرهِ ونواهيه ,فكان شاغل الشاعر التركيز والحذر من الوقوع بالشرائع ,فالتضاد السلب أظفر مراد الشاعر في النص .وقال محمود بن حسن الوراق :

إذا أعطاكَ قَتراً حيْن يُعطي وإن لم يُعطِ قال أبى القضاءُ

يُبخِّلُ ربّهُ سفهاً وظلماً ويَعذرُ نفسهُ فيما يشاءُ [41]

---

[37]) ينظر :بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ,عبد المعتال الصعيدي (تـ 1391م) ,مكتبة الآداب ,ط 17, 2005م: 4/ 575.

[38]) التعريفات ,للجرجاني: 161.

[39]) الصناعتين :445.

[40]) ديوانه:33.

[41]) ديوانه : 33.

في هذا النص تضاد سلب بين (يعطي ,لم يعطِ) في هذا النص يهجو رجلاً بخيلاً إذا أعطى فقليل العطاء ولكن إذا امتنع عن العطاء احتج بأنه القضاء لم يرد له ذلك العطاء ,وقف الشاعر على قضية يعاني منها أغلب الناس الا وهو ينسب البخل لله عز وجل إذا منع عنه الكرم ثم يجعل من اللؤم سبب يحتج به على ما يفعله من اعذار , فالمؤمن الحقيقي من توكل على الله في كل شيء بالرزق او دون ذلك ,فالشاعر يرى من ينسب البخل الله فهو لم يتوكل عليه ومن الواجب على المسلم أن يتوكل على الله بكل شيء ولا يجعل لنفسه عذراً ,فالنص هنا يحتوي على التحذير من هذا العمل المخالف للشرع الإسلامي ,قال محمود بن حسن الوراق :

والرزقُ لو لم تأتهِ لأتاكَ عفواً من كثبِ

إن نمتَ عنه لم ينمْ حتى يُحرّكه السببِ (42)

ورد الشاعر في هذه الأبيات تضاد سلب ففي البيت الأول (لم تأته ,أتاك) في هذا البيت بين الشاعر لعامة الناس أن الله عز وجل كتب رزقك أيها العبد سواء عملت وبذلت جهداً لا يطاق أو عملت عملاً سهلاً ,فرزقك مكتوب لك لا لغيرك ,فإذا غفلت عنه فإن الرزق لا يضيع بل يهيئ الله لك اسباباً للوصول للعبد , فأن لم تذهب إليه لأتاك أي بمعنى جاء اليه دون عناء(كثب)جاء بها لتدل على القرب وكأن الأمر يكون قريب منك ,فهنا اشارة ان رزقك هو قريب منك فلا تجهد نفسك به ,أما في البيت الثاني جاء التضاد (نمت ,لم ينم) وهنا في هذا البيت يؤكد الشاعر على البيت الأول أن رزقك يأتيك بكل الاحوال سواء أكنت نائم أم مستيقظ بالرغم من هذا فالشاعر لم يغفل عن السبب في ورود هذا الرزق فهنا قدم نصيحة لكافة الناس في قضية الرزق لكي يطمئنهم على أرزاقهم التي كتبها الله لهم ,بل تشغل نفسك بطلب الرزق بل أطلب الثبات على الدين والعمل به ,ولكن الشاعر لا يدعو إلى ترك العمل في سبيل أن الرزق يأتيك بل يؤكد أن الرزق بيد الله وما على الإنسان الا السعي في ذلك لا يقدم ولا يأخر فالأمر بيد الله .قال محمود بن حسن الوراق :

لا تحسدنَّ أخاكَ وار عَ لهُ على الأيامِ عهدهُ

حسدُ الصديقِ صديقَهُ وأخاهُ من سُقِم المودَّةِ (43)

ما نلحظ في هذا النص كيفية تعامل الشاعر مع قضية الصديق بحيث جعل من الأمر أكثر اصراراً له فالتضاد(لا تحسد أخاك ,وحسد الصديق) فعبر الشاعر عن الصديق الوفي المخلص أن يجازي صديقة بالحب والاحترام وأن لا يفشي له سراً ,في البيت الأول أقرنه بالأخ لكي يعلم منزلة الصديق فكيف من المروءة والأخلاق أن يترك أو يُحسد أي لا تحسد أخاك على ما اتاه الله من النعم بل الحق بين الأخوة المودة ,بينما البيت الثاني أن حسد الصديق لصديقه أو الأخ لأخيه بل يدل على فساد المحبة ؛لأن المحبة الصادقة تقضي الفرح للصديق وليس الحزن ,ولم يكتفِ هنا بل نجده ذهب أبعد من ذلك حين جاء بلفظة(سقم) هنا استعار الشاعر هذه اللفظة ليعبر من خلالها أن حسد الصديق فهو مرض لا يشفى صاحبه منه حتى لو أظهر له المودة ,فالشاعر من خلال الأسلوب والتضاد بين مراده وغايته في ذكر هذين البيتين من العيب على الصديق أو الأخ أن يحسدهما بل وجب حفظ ما بينهما من جميل الأيام . وقال محمود بن حسن الوراق يذكر الآخرة وسبب نزول آدم من الجنة بسبب الذنوب :

يا ناظراً يَرنو بعينَي راقدٍ ومشاهداً للأمرِ غير مشاهدٍ

منَّيتَ نفسَكَ ضلَّةً وأبحتَها طُرُقَ الرجاءِ وهنَّ غيرُ قواصدِ (44)

---

(42) ديوانه : 47.
(43) ديوانه :56.
(44) ديوانه : 61.

فخرج النداء الى النصح والارشاد ,فالتضاد وقع بين (مشاهد وغير مشاهد) فهو أراد من راقب الأمر بكل دقة بحيث أن عينه كانت في حالة سكون دون حراك ليشير الى الغفلة مع مشاهدة الأمر أو يتظاهر الشخص بالنوم وفي داخله هو صاح أي القلب والعقل مستيقظ ,فهو يعلم الجميع بهذا الأمر حين ورد تضاد ثانٍ (ضلة وابحتها) فهو يخدع نفسه بالأماني الباطلة التي لا توصلك الى الخير ولا تحقق النجاة فالبيتان يذمان الغفلة .قال محمود بن حسن الوراق :

تمتَّع بمالكَ قبلَ المماتِ وإلا فلا مالَ إنْ أنتَ متَّا

شقيتَ به ثم خلَّفتهُ لغيركَ بُعداً وسُحقاً ومقتاً [45]

في هذين البيتين يقدم الشاعر نصيحة لعامة الناس ويدعوهم إلى الاعتدال في التعامل مع المال والانتفاع به قبل الممات , من جهة والذين يجمعون الاموال ولا يبتغون مرضاة الله فهو جامع لها غير منفق على نفسه أو أهلهِ ,فنلحظ التضاد رسم ما ابداه الشاعر (المال وفلا مال) فالأول تعني في حياتك قد انشغلت بجمع الأموال لم تنفق أما الثانية تعني هذا المال الذي جمعته في حتاتك انتفع بمالك واستعمله فيما ينفعك من وجوه الخير المباح قبل أن يدركك الموت ,إذا بالغت في جمع المال والبخل به ,فإنك تتعب وتشقى في تحصيل المال ثم تتركه لغيرك وهم من الاولاد وغيرهم ينتفعون به ,وتحملت المشقة ولم تنال ثمره ثم ورد الشاعر للفظتين (سحتاً ومقتاً) أي أنه سينفق هذا المال دون محله أو قد يسبب البغيضة والكره من بعدك ,فالشاعر يوصي صاحب المال الانفاق من هذه الأموال لكي تشفع عند الممات .قال محمود بن حسن الوراق :

فَحرَّكتُ جنح الصبـ ر لما مسّك الضرُّ

إذا لم يُصلحِ الخيرُ امـ رأ أصلحَه الشرُّ [46]

فتضاد السلب عند الشاعر بين (لم يصلح واصلحه) فأراد الشاعر أن يبين الإنسان يمرّ بالمصائب فلا بد من الصبر عليها ,فالتضاد السلب يعلمنا من خلاله ما يعنيه الشاعر حين قدم لنا بدهشة حول قضية - إذا لم يصلح الخير – يعني به الإنسان الذي لم يتعلم من دروس الحياة من خلال الخير والنعم والاحسان والمواعظ فقد نجد – يصلح الشر امره- الحالة المأساوية التي تنزل عليه تجعله أكثر حكمة واتزان ,فإن الشدائد والمحن تكون سبباً في تقويمه واصلاحه ؛لأنها تنبهه من الغفلة ,وكأن الشاعر أنسب هذا الأمر للتضاد لبيان أن بعض الناس لم يصلح بالخير فالشر اصلحه فهو ذكر الشيء ونقيضه وهنا (كسر أفق التوقع) فهو جعل الاصلاح مبني على الخير ,اما إذا لم يصلحه فأن الشر يصلحه وبينما اغفل الشاعر النصح والارشاد فالمؤمن قد يغفل عن اشياء لا بد من التذكر في الأمر ,قال تعالى :(فَذَكِّر إن نَّفَعَتِ الذِّكرَى) [47] فالقرآن يشير الى الذكرى بينما الشاعر أقرن الأمر بالشر ,فالصورة في (جناح الصبر) شبه الشاعر الصبر بطائر له جناح ثم حذف منه المشبه به وأبقي شيئاً من دلالته (الجناح)وهذا يدل أن الصبر وسيلة للنجاة والابتعاد عن المحن .قال محمود بن حسن الوراق :

أنّكَ تعصي اللهَ تبغى الغنى ولستَ تعصي الله كي تفتقرَ [48]

فالشاعر على الشخص الذي يطلب الغنى بطرق محرمة أو بمعصية الله مبين ذلك أن الرزق الحقيقي بيد الله ,وإن المعصية لا تكون سبيلاً للخير وعلى العكس قد يكون الحرمان والخسارة للرزق ,فالواجب طلب الرزق بالطاعة والعمل والشروع الدين وليس المخالفة , فتضاد السلب وقع بين (تعصي ولست تعصي)

---

[45]) ديوانه : 51.
[46]) ديوانه: 75.
[47]) سورة الأعلى ,الآية :9.
[48]) ديوانه : 67.

الاول مثبت والثاني منفي ,فهو يحذر المسلم وينصحه أن يبتعد عن الكفر ؛لأن الإسلام أولى وأوجب في الطاعة فإن عصيانك لله من أجل مكاسب دنيوية لا تنفعك يوم الحساب ,وكذلك بين (الغنى والفقر) .

الخاتمة :

وبعد هذه الدراسة التحليلية لأثر فاعلية التضاد في شعر محمود بن حسن الوراق ويمكن أن نسجل جملة من النتائج التي توصل إليها البحث

- تعدّ الثنائيات الضّدية من الأساليب اللغوية التي وجدت عند الشعراء المبدعون ,فهي تشارك في عمق الصورة وبيان جمالها ,وتسهم في الإبداع الشعري ويعمل على تحريك عقل المتلقي وذلك ؛لبيان الفروق الدقيقة بين الأضدّاد التي تعني بيان الشيء ونقيضه ما يجعل المتلقي يدهش برسم الصورة الجمالية في الشعر .
- أدت فاعلية الثنائية الضدّية دوراً مهماً في شعر محمود بن الوراق ,حين كانت حاضرة في أغلب شعرهِ ,فقد كانت لهذه الثنائيات الضدية الأثر البالغ في بيان ماهية المعنى الدقيق والوصول إلى الغرض الذي يرمي إليه الشاعر ,حيث كان أغلب شعره عن الوعظ والارشاد وبيان معالم الدنيا والآخرة
- تنوعت فاعلية الضّدية بين الثنائيات الاسمية والثنائيات المعنوية والثنائيات الفعلية والثنائيات السلب ومن خلال تلك الثنائيات أستطاع الشاعر أن يوظف كل طاقاتهِ الإبداعيةِ الشعرية وقدرتهِ في التعبير عن قضايا عصرهِ ,وإمكانية اسلوبهِ الشعري في سبيل الوصول الى عمق النص من خلال التضاد وما يشكلهُ من صورة فجائية تؤثر في المتلقي أو ما يعرف (كسر أفق التوقع) أو يطلق عليه بـ(الدهشة) وهذا الأسلوب نراه واضح الدلالة في شعرة وهذا ما يكشف مقدرة الشاعر في قوله للشعر وأثراء النصوص بهذا التضاد ورصد معالم الحياة البيئية عند الشاعر .
- انماز شعرهِ من خلال الثنائيات الضدية بأن في البيت الشعري أو النص الواحد بوجود أكثر من نوع من التضاد أو الثنائيات الضّدية ,حيث نجد التضاد الاسمي مع الاسمي أو التضاد الاسمي مع الفعلي أو التضاد السلب مع الفعلي أو الاسمي ....مما أدّل ذلك على إمكانية الشاعر التعبيرية والأسلوب القريب السهل على السامع .
- فقد كانت هذه الثنائيات الضّدية تعبر عن طبيعة وفطرة نابعة من الحياة التي عاشها الشاعر وهذا الأمر لا اختلاف فيه حتى قيل الشاعر ابن بيئتهِ ومن هذا المنطلق فقد تأثر شاعرنا بعصرهِ حين نراه احياناً في شعرهِ معالم الدين وتهذيب النفس راسماً طريق النجاة من زيغ الحياة القاسية ؛ولهذا نجد أغلب شعرهِ عن الوعظ والارشاد والتحذير من يوم الحساب ولكن شعرهَ لم يخلو من وصف الخمرة والغزل وأن كان بنسبة قليلة ,ويدل ذلك أن الشاعر عاش في عصر اباح للشاعر أن يقول بكل شيء وهو عصر العباسي ولكن لا نغفل كيف تعامل الشاعر مع الأغراض الشعرية بالتضاد بأسلوب أكثر عمقاً وتأثيراً وهذا ما جعل المتلقي أكثر استجابة لقوله الشعري ناصحاً لهم ومحذراً في نفس الوقت ومحذرهم أن من علامات الموت ظهور الشيب .
- وبرزت الثنائيات الضّدية في بحور متنوعة عنده ,فقد اتبع الشاعر في أغلب شعرهِ أشعار القدماء ,مثل الطويل والبسيط والوافر ومجزوءات البحور ..

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأضداد في كلام العرب ,أبو الطيب ,عبد الواحد بن علي اللغوي تـ(351هـ) ,تح: عزة حسن ,المجمع العلمي العربي ,دمشق ,ط2 ,1996م.

٢- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ,عبد المعتال الصعيدي (تـ 1391م) ,مكتبة الآداب ,ط 17, 2005م.
٣- التعريفات ,أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني تـ(392هـ) ,دار الكتاب العربي ,بيروت ,ط1 ,1405هـ .
٤- تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية ,ثامر العذاري ,رند للطباعة والنشر والتوزيع ,دمشق ,ط1 , 2011م .
٥- الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم ,د. سمر الديوب ,منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, دمشق ,2009م .
٦- ديوان محمود بن حسن الوراق تـ(225هـ) ,تح :عدنان راغب العبيدي ,وزارة التربية والتعليم ,د.ط ,1969م .
٧- سنن ابن ماجه ,أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تـ(273هـ) ,تح: محمد فؤاد عبد الباقي ,دار إحياء الكتب العربية ,د.ط ,د.ت .
٨- سنن الترمذي ,محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي تـ(279هـ) ,تح: أحمد محمد شاكر وفؤاد عبد الباقي ,شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ,مصر,ط2 , 1975م .
٩- الصناعتين ,أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري تـ(395هـ) ,تح:علي محمد البيجاوي ,ومحمد أبو الفضل إبراهيم ,المكتبة العنصرية ,بيروت ,1419هـ .
١٠- العقد الفريد ,أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه تـ(328هـ) ,دار الكتب العلمية ,بيروت ,ط1, 1404هـ.
١١- الفروق اللغوية ,أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري تـ(395هـ) ,تح: محمد إبراهيم سليم ,دار العلم والثقافة ,2007م.
١٢- القاموس المحيط ,مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباد تـ(817هـ), تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ,إشراف: محمد نعيم العرقوسي ,مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت –لبنان ,ط8 ,2005م .
١٣- الكتاب , عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر , تح: عبد السلام هارون ,مكتبة الخانجي , القاهرة ,ط3,1988م .
١٤- لسان العرب , محمد بن مكرم بن علي ,ابن منظور تـ(711هـ) ,دار صادر بيروت ,ط3,1414هـ .

الرسائل :

١- الثنائيات الضدية في شعر ابن زيدون ,ضمياء أحمد قاسم ,رسالة ماجستير ,جامعة ذي قار ,كلية التربية للعلوم الإنسانية ,2015م .

المجلات ودور النشر :

١- الثنائيات الضدية في شعر بدر شاكر السياب ,د.محمد سعدون ,مجلة علوم اللغة العربية وآدابها , مجلد 13, العدد:10.
٢- الثنائيات الضدية في قصيدة نهج البردة ,بغداد عبد الرحمن ,مجلة الآداب وللغات ,جامعة تلمسان العدد14 ,2008م.
٣- ظاهرة التضاد في معجم متن اللغة دراسة في التعبير الدلالي ,هيام إسماعيل عليوي ,مجلة أبحاث ميسان ,المجلد السادس عشر ,العدد 32, 2020م .